Route Educational & Social Science Journal
Volume 7 (1); January 2020

Artical History

Received	Accepted	Available Online
30.12.2019	22.01.2020	31.01..2020.

HEALTHY LIFE IN THE ARAB ISLAMIC STATE (MEDICINE AND PHYSICIANS IN THE EARLY ABBASID PERIOD AS A MODLE)

Prof. Hussein Falah KASASBEH[1]

Abstract

This study examines the healthy life in the Arab Islamic state by talking on medicine and physicians in the early Abbasid state; the era of strength and prosperity. In which the state witnessed a great development in its institutions and prosperity in its sciences and knowledge. This paper starts with a brief summary of medicine and its development before the Abbasid period. It deals with some main points in the first Abbasid period such as the social position of physicians, their financial situation, their religious and ethnic background, and their qualification and cultures. In addition, it examines the methods of treatment, types, and locations, especially hospitals. As well as the civilizational achievements and scientific innovations in medicine.

Key words : Arab Islamic, healthy life, Abbasid period, medicine and physicians.

الحياة الصحية في الدولة العربية الإسلامية (الطب والأطباء في العصر العباسي الأول أنموذجاً)

أ. د. حسين فلاح الكساسبة
قسم التاريخ، جامعة مؤتة/ الأردن

ملخص

تناولت هذه الدراسة الحياة الصحية في الدولة العربية الإسلامية من خلال الحديث عن الطب والأطباء في الدولة العباسية في عصرها الأول؛ عصر القوة والازدهار الذي شهدت فيه الدولة العربية الإسلامية تطورا كبيرا في مؤسساتها وازدهارا في علومها ومعارفها.

[1] Mutah University, Jordan, hkasasbeh@hotmail.com

وتناول هذا البحث نبذه موجزه عن الطب وتطوره قبل العصر العباسي، ثم عالج الطب في العصر العباسي الأول من حيث: المكانة الاجتماعية للأطباء، ووضعهم المالي، والخلفية الدينية والعرقية لهم. ومشاهير الأطباء ومكانتهم عند الخلفاء. وعالج البحث أيضا مؤهلات الأطباء وثقافاتهم، وأساليب العلاج وطرقه وأنواعه وأماكنه وخاصة المستشفيات. وكذلك الانجازات الحضارية والابتكارات العلمية في مجال الطب.

الكلمات المفتاحية: تاريخ إسلامي، حضارة إسلامية، الحياة الصحية، العصر العباسي، الطب والأطباء.

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة الحياة الصحية في الدولة العربية الإسلامية من خلال الحديث عن الطب والأطباء في الدولة العباسية في عصرها الأول؛ عصر القوة والازدهار الذي شهدت فيه الدولة العربية الإسلامية ومؤسساتها تطورا كبيرا في نواحي شتى, فيه نشأت العلوم وازدهرت المعارف ومنها علم الطب الذي له أهميته.

تناول هذا البحث نبذه موجزه عن الطب وتطوره قبل العصر العباسي، ثم عالج الطب في العصر العباسي الأول في عدة أمور مثل المكانة الاجتماعية والمالية للأطباء، والخلفية الدينية والعرقية لهم. ومشاهير الأطباء ومكانتهم عند الخلفاء. وتجلى البحث في الحديث عن مؤهلات الأطباء وثقافاتهم وأساليب العلاج وطرقه وأنواعه وأماكنه وخاصة المستشفيات.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كشف النقاب عن الحياة الطبية في عصر من أهم عصور الإسلام؛ عصر النهضة في الإسلام في الانجازات الحضارية والابتكارات العلمية. فقد اهتم الخلفاء العباسيون بالأطباء ومنحوهم الحرية الدينية والفكرية، وكانوا يعاملوهم معاملة حسنة تميزت بالرفق والإكرام، تمثل ذلك بإكرام الخليفة أبو جعفر لطبيبه جورجيس بن بختيشوع، فقد كان حظياً عند الخليفة رفيع المنزلة، وإكرام الخليفة المهدي لطبيبه عيسى أبو قريش الذي وصل إلى رتبة كبار الأطباء. وقدمته زوجة المهدي على جميع أطباء القصر. وكان لبختيشوع بن جورجيس مكانه عالية عند الرشيد فأصبح من أقرب الأطباء للخليفة وأحد ندمائه المفضلين في بغداد. وقد كان تقدير بعض الخلفاء لأطبائهم يفوق تقديرهم لكبار موظفي الدولة فقد كانت مرتبة جبرائيل بن بختيشوع فوق كافة رجال الدولة عند الرشيد. وكذا كان الطبيب سلمويه بن بنان أهم عند الخليفة المعتصم من قاضي القضاة. ولمكانة الأطباء ورفعة شأنهم عند الخلفاء أنهم أطلقوا أيديهم في دورهم وسمحوا لهم بالتدخل في أمورهم الخاصة.

ومن أهداف هذه الدراسة كذلك إظهار دور الخلفاء العباسيين في رعاية الطب كعلم وممارسة. فقد احتل الطب علما ومهنة مرتبة خاصة في العصر العباسي، من خلال اهتمام الخلفاء بمؤسسات الطب، والعناية بأصحاب المهنة. فقد قام الطب على أسس ودعائم ثابتة ومؤثرة، كان لا بد لها أن تنهض وتستمر لتأثيرها الكبير على حياة الإنسان واستمرارها.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كشف النقاب عن الحياة الطبية في الدولة الإسلامية ودورها في الحفاظ على صحة الفرد والمجتمع وجهودها في رعاية الخدمات الطبية

والأطباء وتقديم الدعم اللازم لهم وإبراز دور علماء المسلمين في تطور الميادين الطبية والعناية الصحية، من خلال إيجاد النظريات الطبية المبتكرة وأساليب العلاج الجديدة واختراع الأدوية الشافية، وما قدموه للحضارة الإنسانية.

لمحة عن الطب قبل العصر العباسي[2]

عنى العرب قبل الإسلام بالطب، فكان طبهم مبني على خبراتهم التي اكتسبوها، وهذه الخبرات مبنية على الصدفة التي لعبت دوراً في شفاء بعض الأمراض، عند تناول بعض النباتات عن طريق التكرار[3]. كما شخّصوا بعض الإمراض وعرفوا علاجها[4].

وجاء الإسلام يدعو إلى نظافة الجسم وطهارته ونظافة الملبس والمسكن والبيئة، إلى جانب طهارة الروح ونظافتها. فمن متممات الصلاة الوضوء خمس مرات في اليوم، والاغتسال والنظافة، واستخدام السواك، والى غير ذلك. وحثت تعاليم الإسلام على دراسة الطب وممارسته وعلى العناية بصحة الإنسان. فقد حض الرسول (ρ) على التداوي ومعالجة الأمراض، وعدم ترك الأمور تسير على طبيعتها. ودعا إلى الاعتدال في الأكل والشراب[5], وحث الرسول على مكافحة الحمى بالماء البارد، والمعالجة بشرب العسل والحجامة والكي[6]. وأمر (ص) بالحجر الصحي عند انتشار الأمراض المعدية خشية تفشي ذلك المرض وانتقاله من المريض إلى السليم[7]. ودعا الرسول الناس إلى تقصي أسباب المرض والقضاء عليها، ودعاهم إلى الاستعانة بالأطباء الذين كانوا في عصره[8].

وفي العصر الأموي اهتم الخلفاء الأمويين بالحياة الصحية واستمرارها، لما فيها من فائدة في رفاه المجتمع وتقدمه. ظهر ذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان (40-60ه)، وكان من أطباءه، ابن اثال، والحكم بن أبي الحكم الدمشقي وكان الأول خبيرا بالأدوية المفردة والسموم[9]، وكان الثاني طبيب الأسرة الحاكمة، وكان خالد بن يزيد بن معاوية (ت 85هـ/ 704م) عالما بالطب والكيمياء، وهو أول من نقل طب اليونان إلى العربية[10]، واهتم مروان بن الحكم بالطب، حيث ترجم له طبيبه ماسرجويه من السريانية إلى العربية كتاب أهُرن بن أعين القس السكندري المعروف بالكناش[11].

واهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101ه) بالطب والصحة العامة لرعيته، وشجع

---

2 عن الطب قبل العصر العباسي انظر الكساسبة، حسين فلاح، "الطب والأطباء في صدر الإسلام" 2019 ***Route Educational & Social Science Journal*, Volume 6(1) ; January 2019, pp. 673-694**

3 ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، د. ت. ص345

4 السامرائي، خليل إبراهيم ، دراسات في تاريخ الفكر العربي، جامعة الموصل، الموصل د. ت. ص305

5 ابن قيم، الطب النبوي،17، 18، السامرائي، دراسات ص306

6 البخاري، 9/4؛ ابن قيم، الطب النبوي، ص50

7 البخاري 14/4

8 الكساسبة، "الطب والأطباء.... " ***Route Educational & Social Science Journal* , p 677-680**

9 ابن أبي أصيبعة، عيون 401/1

10 ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1978، 224/2

11 القفطي، إخبار ، ص66؛ ابن جلجل، طبقات ، ص61-62

ترجمة كتب الطب إلى العربية[12]، وأمر بالاطلاع والانتفاع بهذه الكتب وكان من أطبائه ماسرجويه[13].

مؤهلات الأطباء ومكانتهم الاجتماعية

تطورت الحياة الصحية في الدولة العباسية تطوراً كبيراً نتيجة التطور الحضاري الذي شهدته الخلافة العباسية بفضل اختلاط شعوب الدولة من مختلف الأجناس وتمازجها الثقافي، والترف الذي ساد الحياة الاجتماعية وما رافقه من معيشة الترف والبذخ وتنوع الطعام والشراب التي عرضت أجسام الناس لأمراض حضرية فازدادت حاجتهم إلى الطب، إضافة إلى وجود المدارس الطبية مثل مدرسة جنديسابور ومدرسة حران[14]، وتأسيس بيت الحكمة وأثره على النشاط العلمي بشكل عام والطب بشكل خاص، فقد التحق به علماء كبار لهم مكانتهم العلمية وثقافتهم الواسعة تسلحوا بإتقان اللغات الأجنبية السائدة وقتذاك كالهندية والإغريقية واللاتينية والفارسية والسريانية[15]، وكان العامل المهم في تطور علم الطب هو تشجيع الخلفاء العباسيين واهتمامهم بالشؤون العلمية عامة، واهتمام الخلفاء ورعايتهم الخاصة للأطباء، فكان له الأثر الأكبر في تقدم الطب في هذا العصر، الأمر الذي شجع على قدوم عدد من الأطباء إلى العراق[16]. مثل الطبيب جورجيس بن جبرائيل الذي كانت له خبرة بصناعة الطب، ومعرفة بالمداواة وأنواع العلاج، وخدم بصناعة الطب الخليفة أبو جعفر المنصور، وكان حظياً عنده رفيع المنزلة، ونال من جهته أموالاً جزيلة، وقد نقل للمنصور كتباً كثيرة من كتب اليونان إلى العربية. وقد استدعاه المنصور في سنة 148هـ، عندما مرضت معدته، وانقطعت شهوته، فعالج المنصور حتى رجع إلى مزاجه الأول، وفرح به الخليفة فرحاً شديداً، واتخذه طبيباً خاصاً، وأمر أن يجاب إلى كل ما يسأل[17]. وبقي كذلك حتى ظهرت عليه علامات المرض فاستأذن فِي العودة إِلَى بلاده وخلفه تلميذه عيسى بن شهلافا الذي لم يكن صاحب سيرة حسنة، فأمر المنصور بتأديبه وأخذ جميع ما يملكه[18]. وخلفه، في خدمة الخليفة المنصور الطبيب السرياني المعروف باسم اللجلاج والذي كسب ثقة الخليفة حتى صار يرافقه في سفراته؛ فقد رافق المنصور لما حج حجته التي توفي فيها. وفي تلك السفرة توقع انتكاس صحة المنصور وربما موته، أفضى بذلك لأبي سهل بن نوبخت، فقال: إن المنصور رجل محرور تزداد يبوسة بدنه كلما أسّن، وقد حلق رأسه بالحيرة وجعل مكان الشعر الذي حلقه غالية وهو في هذا الحجاز يداوم الغالية، وما يقبل قولي في تركها، ولا أحسبه يبلغ إلى فيد حتى يحدث في دماغه من اليبس ما لا يكون عندي ولا عند أحد من المتطببين حيلة في ترطيبه، فليس

---

12 ابن جلجل، طبقات، ص61-62؛ القفطي، إخبار ، ص243

13 القفطي، إخبار ،243

14 القفطي، إخبار، ص111-112، فرحات، يوسف، علماء العرب، كتاب الموسوعة، ط1، شركة مساهمة سويسرية، جنيف 1986 م، ص11-12.

15 عبد الباقي، معالم، ص519-520

16 زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، د. ت، 287/2

17 ابن أبي اصيبعة، عيون، 139 نت

18 القفطي، إخبار، 189

يبلغ قيد، إن بلغها، إلا مريضاً؛ ولا يبلغ مكة، إن بلغها، وبه حياة؛ وهذا ما حصل حيث توفي المنصور عند وصولة مكة، فدفن ببئر ميمون[19].

وكان من أوائل أطباء الخليفة المهدي الطبيب أبو قريش عيسى الصيدلاني[20]. وكان الطبيب المفضل لدى الخيزران زوجة المهدي، فعندما بعثت الخيزران ببولها ليفحصه عيسى فحدس أن صاحبة البول حامل بغلام فولدت موسى الهادي، وحملت الخيزران مرة أخرى، وساعد الحظ عيسى فبشرها بغلام أيضاً فولدت هارون الرشيد، فأحضره المهدي عيسى واستمر يطرح عليه الخلع ولقبه حينئذٍ أبا قريش" أي أبا العرب"[21].

واستمر أبو قريش في خدمة الهادي والرشيد[22].

خلف الطبيب بختيشوع بن جورجيس[23] (ت184هـ/800م) والده في خدمة الخلفاء العباسيين. لتحتل أسرة بختيشوع مكانة رفيعة لدى العباسيين منذ ذلك التاريخ، وطيلة العصر العباسي الأول. كان جورجيس مثل أبيه في معرفته بصناعة الطب ومزاولته لأعمالها، ونال شهرة كبيرة من خلال كتبه "التذكرة في الطب" وكتاب "الكناش المختصر[24]، احضره الخليفة الهادي (169-170هـ) إلى بغداد عندما مرض[25].

وعندما مرض الخليفة الرشيد عام 171هـ طلب من وزيرة يحي بن خالد إحضار طبيباً ماهراً، فتم استدعاء بختيشوع بن جورجيس. وعندما اثبت هذا الطبيب كفاءته، ومقدرته على المعالجة، أمر الخليفة، أن يخلع عليه خلعة حسنة جليلة، ووهب له مالاً كثيرا، وأصبح من أقرب الأطباء للخليفة وأحد ندمائه المفضلين في بغداد. وعينه رئيساً على الأطباء كلهم، وله يسمعون ويطيعون، وهم: أبو قريش عيسى، وعبد اللّه الطيفوري، وداود بن سرابيون، وسرجس[26].

استمرت عائلة بختيشوع في خدمة الرشيد وأبنائه أيضاً. فأصبح الطبيب جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس[27] (ت213هـ/ 828م)، أحد أطباء جعفر بن يحي البرمكي، ثم ما لبث أن قدمه جعفر إلى الخليفة الرشيد حتى أصبح طبيبه الخاص، واستمر في خدمته وخدمة ولديه الخليفتين الأمين والمأمون. وقد وصُف جبرائيل بأنه "كان مشهوراً بالفضل جيد التصرف في المداواة، عالي الهمة، سعيد الجد، حظياً عند الخلفاء، رفيع المنزلة عندهم، كثيري الإحسان إليه، وحصل ...من الأموال، ما لم يحصله غيره من الأطباء"[28]. وقال عنه القفطي: "كان طبيبا حاذقا نبيلا، له تآليف في الطب وخدم الرشيد الخليفة ومن بعده، وحل محل أبيه بختيشوع عند الخلفاء ونشأ في

---

19 ابن أبي اصيبعة، عيون، 170(نت)

20 القفطي، إخبار ، ص315-317-280؛ ابن العبري، مختصر الدول، ص127-128

21 القفطي، إخبار ، ص315؛ ابن العبري، مختصر الدول، ص127-128

22 القفطي، إخبار، ص316، ومن أطباء الهادي الطبيب عبد الله بن طيفور طبيب الخليفة المهدي، وكان أحظى الناس عند الخليفة الهادي، القفطي، إخبار، ص 169

23 عن حياته انظر القفطي، إخبار 81-82؛ ابن أبي اصيبعة، عيون، ص140-142

24 ابن أبي اصيبعة، عيون، ص143

25 وملخص ذلك لما مرض الهادي أرسل إلى جندي سابور من يحضر له بختيشوع، فمات قبل قدوم بختيشوع، وكان من خبره أنه جمع الأطباء، وهم أبو قريش عيسى، وعبد اللّه الطيفوري، وداؤد بن سرابيون وقال لهم أنتم تأخذون أموالي وجوائزي، وفي وقت الشدة تتقاعدون بي، فقال له أبو قريش علينا الاجتهاد واللّه يهب السلامة، فاغتاظ من هذا فقل له الربيع قد وصف لنا أن بنهر صرصر طبيباً ماهراً يقال له عبد يشوع بن نصر، فأمر بإحضاره وبأن تضرب أعناق الأطباء، فلم يفعل الربيع هذا لعلمه باختلال عقله من شدة المرض، ابن أبي اصيبعة، عيون، ص142

26 ابن أبي اصيبعة، عيون ، ص142-143

27 عن حياته انظر القفطي، إخبار 106-115؛ ابن أبي اصيبعة، عيون، ص143-161

28 ابن أبي اصيبعة، عيون 143

دولتهم. وجبرائيل هذا من أهل جنديسابور وأهل جنديسابور من الأطباء، فيهم حذق بهذه الصناعة"[29]. وفي عام 175هـ مرض جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، فتقدم الرشيد إلى بختيشوع أن يتولى خدمته ومعالجته، وطلب جعفر من بختيشوع أن يختار له طبيباً ماهراً فنصحه بختيشوع بابنه جبرائيل الذي وصفه بأنه أمهر منه، وليس في الأطباء من يشاكله، ولما أحضره عالجه في مدة ثلاث أيام وبرأ، فأحبه جعفر مثل نفسه، كما استطاع جبرائيل في تلك الأيام من معالجة يد حظية الرشيد التي عجز باقي الأطباء عن معالجتها، الأمر الذي أعجب الرشيد وكل من كان بين يديه، وأمر الرشيد في الوقت لجبرائيل بخمسمائة ألف درهم، وأحبه مثل نفسه، وجعله رئيساً على جميع الأطباء، وكان محل جبرائيل يقوى في كل وقت، حتى أن الرشيد قال لأصحابه كل من كانت له إلي حاجة فليخاطب جبرائيل، لأني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني، فكان القواد يقصدونه في كل أمورهم، وحاله تتزايد، ومنذ يوم خدم الرشيد وإلى أن انقضت خمس عشرة سنة لم يمرض الرشيد فحظي عنده، حتى تغير عليه في مرضه الأخير وأمر بسجنه[30].

وبعد موت الرشيد، استمر الطبيب جبرائيل بن بختيشوع في خدمة الخليفة الأمين ورجال دولته. فقد أصاب الفضل بن الربيع في تلك الأيام قولنج صعب يئس الأطباء منه، فعالجه جبرائيل بألطف علاج وأحسنه، فبرأ الفضل وازدادت محبته له وعجبه به، ولما تولى محمد الأمين الخلافة، وافى إليه جبرائيل، فقبله أحسن قبول وأكرمه، ووهب له أموالاً جلية أكثر مما كان أبوه يهب له، وكان الأمين لا يأكل ولا يشرب إلا بإذنه.

ومن أطباء الخليفة هارون الرشيد، عيسى بن الحكم الدمشقي[31] (ت225هـ/840م)، من أهل دمشق، كان خبيرا بالطب حسن المباشرة والمعالجة[32]. من آثاره العلمية كتاب "منافع الحيوان" وكتاب "كناش كبير يعرف به. ومن نصائحه الطبية أن والده عاش مائة وخمس سنين ولم يتشنج له وجه ولم يتغير ماء وجهه لأشياء كان يفعلها فطالب مرضاه التقيد بها، وهي عدم أكل القديد وغسل اليدين والقدمين بماء بارد عند الخروج من الحمام[33]. قام بالرعاية الصحية في قصر الخليفة هارون الرشيد للخليفة وعائلته، ومن جملة ذلك فحص السيدة غضيض أم ولد الرشيد عندما أصيبت بالقولنج[34].

ومن أطباء الخليفة هارون الرشيد مأسويه أبو يوحنا[35]، كان طبيبا للعيون وصيدلانياً يعمل في خلط الأدوية، تتلمذ على يد جبرائيل بن بختيشوع، وبرع في طب العيون، فعندما أصيبت عين الرشيد أرشده الفضل بن الربيع إلى مأسويه فعالجه وبرأ بعد يوماً من علاجه[36]. وكان بصيراً بالعلاج، كثير التجارب، فصيره الرشيد نظيراً لجبرائيل في الرزق ....، وعني بابنه يوحنا ووسع النفقة عليه، فبلغ المرتبة المشهورة"[37].

---

29 القفطي، إخبار ص106

30 القفطي، إخبار ص107-108؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 143-144

31 القفطي، إخبار190 ابن أبي اصيبعة، عيون، 135- (نت)؛ حمارنة، سامي خلف، الطبيب عيسى بن الحكم الدمشقي، "الرسالة الهارونيه"، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، جامعة دمشق 1990م، 2،5؛ نعمة الله، علماء الطب، ص213؛ الدفاع، رواد، ص169-171.

32 القفطي، إخبار190

33 ابن أبي اصيبعة، عيون، 136 (نت)؛ نعمة الله، علماء الطب، ص213؛ الدفاع، رواد، ص169-171.

34 ابن أبي اصيبعة، عيون ، ص135.

35 عن حياته انظر ابن أبي اصيبعة، عيون ، ص192-196

36 المصدر نفسه ص192

37 المصدر نفسه ص194

وكان للخليفة المأمون دورا كبيرا في تطور الطب، فقد قرب الأطباء وأغدق عليهم الأموال. كما أنه لم يستخدم طبيب إلا بعد خضوعه لاختبار للتأكد من إخلاصه، ومثال ذلك ما اتبعه المأمون مع الطبيب حنين بن إسحاق[38]. وكان المأمون منذ صغره يؤمن بالطب وأهميته، فقد كان المأمون مرافقا لوالده الرشيد في إحدى سفراته، فخلط الرشيد في أكله أنواعا من الطعام فأصيب بالمرض حتى غشي عليه لدرجة إن الحاضرين لم يشكوا بموته، فاقترح الطبيب جبرائيل أن يحتجم ، فرفض الحاضرون ذلك بحجة انه لا جدوى من الحجامة لرجل ميت، إلا أن المأمون أصر على الحجامة فاحضر الحجام ومص الدم حتى أفاق الرشيد[39].

وكان المأمون رجلا عالما ومطلعا على باقي العلوم وله لقاءات ومحاورات مع العلماء ومن بينهم الأطباء. فقد طرح سؤالا على أربعة من الأطباء، حول الدواء الذي لا داء معه، فكل أجاب حسب علمه ومعرفته وقد أصاب الطبيب الرابع منهم وقال: الدواء الذي لا داء معه، أن تجلس على الطعام وأنت تشتهيه، وتقوم عنه وأنت تشتهيه[40]. وفي إحدى مجالس المأمون العلمية تذاكروا أمورا كثيرة منها الطب، والأغذية وفوائدها والأدوية والحجامه والسواك وقد أدلى علي الرضا بن موسى بدلوه ووعد الخليفة بان يكتب له رسالة في هذا الموضوع، فكتب رسالة مطولة بالطب تعرف ب"الرسالة المأمونية بالطب"[41]. جمع فيها الرضا من تجاربه ومشاهداته وما نقله من كتب الآخرين. بدا الرضا رسالته بالنصائح الغذائية والأدوية بالإضافة إلى وصفات طبية لبعض الإمراض كالجذام والبرص والحكة والبهاق والجرب وغيرها من الإمراض[42].

هكذا تكونت لدى المأمون خبرة ودراية في الطب نتيجة لمجالسة الأطباء، فقد احتجم مرة وشد الأطباء الرباط عليه ولم يخرج الدم، فطلب منهم أن يحلوا الرباط وان يخرجوا للتشاور، وخلال خروجهم وتشاورهم طلب من فراشا كان عنده أن يمص الدم من منطقة الجرح، فخرج منه الدم، ثم طلب من الفراش أن يدعوا الأطباء، فلما رأوا ما فعل عجبوا منه، وقالوا له بأنه لو فعل هذا جالينوس لكان عجبا[43]. وفوق كل ذلك شجع المأمون ترجمة كتب الطب من اللغات الأخرى إلى العربية، ومما يحكى عنه أنه كان يعطي من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربي مثلاً بمثل. ويذكر إن بني شاكر (محمد وأحمد والحسن)، كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن إسحاق، وحبيش بن الحسن، وثابت بن قرة وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة[44].

في بداية حكمه، كتب المأمون إلى الحسن بن سهل، بأن يقبض على الطبيب جبرائيل بن بختيشوع ويحبسه، لأنه ترك قصره بعد موت أبيه الرشيد ومضى إلى أخيه الأمين، ففعل الحسن بن سهل هذا، وفي سنة 202هـ مرض الحسن بن سهل مرضاً شديداً،

---

38 المصدر نفسه ص 209 نت

39 ابن أبي اصيبعة، عيون، ص 148 نت؛ الهويمل، الحركة العلمية في خلافة المأمون، رسالة غير منشورة، جامعو مؤتة 1996، ص 127

40 الاصبهاني، حسين بن الراغب (ت 502هـ)، محاضرات الأدباء وممارسات الشعراء والبلغاء، 4ج، دار مكتبة الحياة، بيروت 1961، 2 /226؛ الهويمل 127

41 الرضى، على بن موسى، الرسالة المأمونية بالطب، مخطوط مصورة ، كلية الآداب، جامعة بغداد 1981

42 الرضى، الرسالة ص 1-8

43 الاصبهاني، محاضرات 430/2-431

44 ابن أبي اصيبعة، عيون، ص 208 نت

وعالجه الأطباء فلم ينتفع بذلك، فأخرج جبرائيل من الحبس حتى عالجه وبرأ في أيام يسيرة فوهب له سراً مالاً وافراً، وكتب إلى المأمون يعرفه خبر علته، وكيف برأ على يد جبرائيل، ويسأله في أمره فأجابه بالصفح عنه. وفي سنة 205هـ اعتمد المأمون على الطبيب ميخائيل (صهر جبرائيل) وأمر بأن يجلس جبرائيل في منزله، واستمر الحال على ذلك حتى سنة 210هـ حيث مرض المأمون مرضاً شديداً، وكان وجوه الأطباء يعالجونه دون أن يشفى فاقترحوا عليه جبرائيل، ولما حضر غير تدبيره كله، وبعد ثلاثة أيام صلح، فسر به المأمون سروراً عظيماً، ولما كان بعد أيام تعافى المأمون، وأذن له جبرائيل في الأكل والشرب، فأمر له المأمون بمليون درهم، وبألف كر حنطة، ورد عليه سائر ما قبض منه من الأملاك والضياع وصار إذا خاطبه كناه بأبي عيسى جبرائيل وأكرمه زيادة على ما كان أبوه يكرمه، وكان عند المأمون مثل أبيه[45].

ولما استخلف المعتصم بالله في سنة ثمان عشرة ومائتين اختار لنفسه الطبيب سلمويه بن بنان وأكرمه إكراماً كثيراً يفوق الوصف، وكان يرد إلى الدواوين توقيعات المعتصم في السجلات وغيرها بخط سلمويه، وكل ما كان يرد على الأمراء والقواد من خروج أمر وتوقيع من حضرة المعتصم فبخط سلمويه. وولى أخا سلمويه إبراهيم خزن بيوت الأموال، وخاتمه مع خاتم الخليفة، ولم يكن أحد عنده مثل سلمويه وأخيه إبراهيم في المنزلة، وكان سلمويه نصرانيا، محمود السيرة، وافر العقل، جميل الرأي. قال المعتصم: "سلمويه طبيبي أكبر عندي من قاضي القضاة، لأن هذا يحكم في نفسي، ونفسي أشرف من مالي وملكي". وقال حنين بن إسحاق : إن سلمويه كان أعلم أهل زمانه بصناعة الطب، وكان المعتصم يسميه أبي، فلما اعتل سلمويه عاده المعتصم وأشار عليه باستخدام الطبيب يوحنا بن ماسويه بعد وفاته، فلما مات سلمويه امتنع المعتصم من أكل الطعام يوم موته، وحزن عليه حزناً شديداً[46].

كان أبو زكريا يوحنا بن ماسويه[47] (ت243هـ/ 858م) فاضلا متقدما عند الخلفاء عالما مصنفا. كان نصرانيا سريانيا، ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدوها بأنقرة وعمورية حين افتتحها المسلمون، وعُيّن أمينا على الترجمة ورتب له كتّابا حذاقا يكتبون بين يديه. خدم الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، فكانوا لا يتناولون شيئاً من طعامهم إلا بحضوره، . وكان معظما جليل المقدار[48].

تعددت مؤلفات يوحنا في الطب من أشهرها: كتاب البرهان، وكتاب البصيرة، وكتاب ماء الشعير، وكتاب المرة السوداء، وكتاب الكمال والتمام، وكتاب الرجحان في المعدة، والتشريح، وجامع الطب، وكتاب الفصد والحجامة، وكتاب الصداع وعلله وأوجاعه، وكتاب الحميات، وكتاب محنة الطب، وكتاب النوادر الطبية، وكتاب الأدوية، وكتاب دخول الحمام، وكتاب معرفة الكحالين، وكتاب الأغذية، وكتاب الجذام، وكتاب الاشربة[49].

توفي يوحنا في أيام المتوكل، "وكان في حياته يعقد مجلسا للنظر ويعْمر ذلك المجلس بعلم هذا الشأن أتم عمارة ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة.

---

45 ابن أبي اصيبعة، عيون، ص145-146
46 المصدر نفسه 184
47 عن حياته انظر ابن جلجل، طبقات 65-66؛ القفطي، إخبار 282-290؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 195- (نت)
48 القفطي، إخبار 282-283، قارن مع ابن جلجل 65
49 ابن جلجل 65-66؛ القفطي، إخبار 282-283

واجتمع إليه أهل العلوم والأدب وكان يدرس ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون"[50]. ومن أشهر هؤلاء التلاميذ الطبيب أبو زيد حنين بن إسحاق العِبادي[51] (ت260هـ). الطبيب المشهور؛ كان إمام وقته في صناعة الطب، وكان يعرف اليونانية معرفة تامة وهو الذي عرب كتاب إقليدس، وكذلك كتاب المجسطي، وكان من اشد المترجمين اعتناء بالترجمة[52]. وكان جليلا في ترجمته، وهو الذي أوضح معاني كتب ابقراط وجالينوس، ولخصها أحسن تلخيص. وله كتب عديدة ألفها مثل كتابه في صناعة المنطق، وكتاب الأغذية، وكتابه في الأدوية المسهلة، وكتاب الأغذية على تدبير الصحة[53].

ومن أطباء الخليفة المتوكل، الطبيب إسرائيل بن زكريا الطيفوري. كان مقدما في صناعة الطب، جليل القدر عند الخلفاء، كثيري الاحترام له، وكان طبيب الفتح بن خاقان الذي كان كثير العناية به، فقدمه عند المتوكل ولم يزل حتى أنس به المتوكل وجعله في مرتبة بختيشوع وعظم قدره، وكان متى ركب إلى دار المتوكل يكون موكبه مثل موكب الأمراء وأجلاء القواد، وبين يديه أصحاب المقارع، وأقطعه المتوكل قطيعة بسر من رأى، ودفع إليه ثلاثمائة ألف درهم للنفقة عليه[54].

ومن أطباء المتوكل سابور بن سهل (ت 255هـ) كان ملازماً لبيمارستان جندي سابور ومعالجة المرضى به، وكان فاضلاً عالماً بقوى الأدوية المفردة وتركيبها، وتقدم عند المتوكل وكان يرى له وكذلك عند من تولى بعده من الخلفاء، وتوفي في أيام الخليفة المهتدي بالله، وكانت وفاة سابور بن سهل في يوم الاثنين لتسع بقين من ذي الحجة سنة خمس وخمسين ومائتين، ولسابور بن سهل من الكتب كتاب الأقراباذين الكبير المشهور، جعله سبعة عشر باباً وهو الذي كان من المعمول عليه في البيمارستان، ودكاكين الصيادلة، كتاب قوى الأطعمة ومضارها ومنافعها، كتاب الرد على حنين في كتابه في الفرق بين الغذاء والدواء المسهل، القول في النوم واليقظة، كتاب أبدال الأدوية[55].

امتحان الأطباء

خضع الأطباء لامتحانات محددة واختبارات مختلفة، للتأكد من قدرتهم العملية وكفاءتهم العلمية التي تخولهم من مزاولة المهنة. وقد وضعت المؤلفات لهذه الغاية من اجل امتحان الأطباء ومن هذه الكتب "محنة الطبيب" وكتاب "معرفة محنة الكحالين" ليوحنا بن ماسوية[56].

وقد شدد الخلفاء العباسيين على امتحان الأطباء، وهذا نابع من شدة اهتمامهم بهذه المهنة وحرصهم على الصحة العامة لرعاياهم، وتقريبهم للأطباء المخلصين لعملهم

[50] القفطي، إخبار 283
[51] عن حياته انظر ابن جلجل 68-73؛ القفطي، إخبار131؛ ابن خلكان، وفيات، 217/2-218؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 205-222
[52] ابن خلكان، وفيات، 217/2
[53] ابن جلجل، طبقات 69
[54] ابن أبي اصيبعة، عيون 176
[55] ابن أبي اصيبعة، عيون 180نت
[56] المصدر نفسه 142-143

والعارفين بمهنتهم. إذ كانوا لا يستخدمون طبيباً إلا بعد إخضاعه لامتحان للتأكد من مدى كفاءته لهذه المهنة وإخلاصه. ومن أشهر الأطباء الذين خضعوا لهذا الاختبار الطبيب جورجيس بن جبرائيل. فعندما مرض المنصور واستدعى جورجيس لمعالجته قام بامتحانه فأجلسه قدامه وسأله عن أشياء فأجابه عنها بسكون. فقال له قد ظفرت منك بما كنت أحبه وأشتاقه، وحدثه بعلته وكيف كان ابتداؤها[57]. وأمر الخليفة الرشيد بأجراء امتحان للطبيب بختيشوع بن جورجيس، أمام جماعة من الأطباء، عند طريق تشخيص عينة بول دابة، فلما شاهد بختيشوع تلك العينة عرف انه ليس ببول إنسان، لأنه ليس له قوام بول الناس، ولا لونه ولا ريحه. وبعد اجتيازه الامتحان اختاره الرشيد كطبيبه الخاص، واجزل له الرزق وأغدق عليه الهدايا، وأصبح من أقرب الأطباء له وأحد ندمائه المفضلين[58].

وامتحن الرشيد الطبيب جبرائيل بن بختيشوع أيضا فقال له: الرشيد ما اسمك؟ قال جبرائيل، "قال له أي شيء تعرف من الطب؟ فقال أبرد الحار، وأسخن البارد، وأرطب اليابس، وأيبس الرطب الخارج عن الطبع، فضحك الخليفة وقال هذا، غاية ما يحتاج إليه في صناعة الطب، ثم شرح له حال الصبية، فقال له جبرائيل إن لم يسخط علي أمير المؤمنين فلها عندي حيلة، فقال له وما هي؟ قال تخرج الجارية إلى هاهنا بحضرة الجمع حتى أعمل ما أريده، وتمهل علي ولا تعجل بالسخط، فأمر الرشيد بإحضار الجارية فخرجت، وحين رآها جبرائيل عدا إليها ونكس رأسه ومسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها، فأنزعجت الجارية، ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت أعضاؤها، وبسطت يديها إلى أسفل، ومسكت ذيلها، فقال جبرائيل قد برئت يا أمير المؤمنين، فقال الرشيد للجارية إبسطي يديك يمنة ويسرة ففعلت ذلك[59].

وقام الخليفة المأمون بامتحان الصيادلة حتى يعرف منهم الناصح من غيره، وذلك باختيار كلمة غريبة على أنها دواء ليرى ما هو تعاطي الصيادلة مع هذه الكلمة. وقد اختار المأمون كلمة سقطيثا، وسقطيثا ضيعة من الضياع بقرب مدينة السلام. ثم أرسل المأمون جماعة إِلَى الصيادلة يسألهم عن سقطيثا، فكل ذكر أنه عنده وأخذ الثمن ودفع شيئاً من حانوته فصاروا إِلَى المأمون بأشياء مختلفة فمنهم من أتى بقطعة حجر ومنهم من أتى بقطعة وتد ومنهم من أتى ببعض البزور. وفي عهد الخليفة المعتصم (218-227هـ) اقتدى قائدة الافشين بطريقة المأمون. فدعا الافشين بدفتر من دفاتر الأسروشنية فأخرج منه نحواً من عشرين اسماً ووجه إِلَى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مسماة بتلك الأسماء لبعض أنكرها وبعض ادعى معرفتها وأخذ الدراهم من الرسل ودفع إليهم شيئاً من حانوته. فأمر الافشين بإحضار جميع الصيادلة فمن أنكر معرفة تِلْك الأسماء أذن لهم فِيها بالمقام فِي معسكره ونفى الباقين عن المعسكر. وكتب إِلَى المعتصم يلتمس إرسال صيادلة وأطباء ناصحين وصادقين فاستحسن المعتصم فعله ووجه إِلَيهِ بمن سأل[60].

57 المصدر نفسه 139 نت
58 المصدر نفسه 142-143
59 ابن أبي اصيبعة، عيون ص143
60 القفطي، إخبار 146-147؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 175

الوضع المالي للأطباء

ترتب على عظم مكانة الأطباء في هذا العصر وسمو منزلتهم في بغداد إن تدفقت عليهم الأموال التي أغدقها الخلفاء والخاصة عليهم، مكافأة على خدماتهم إليهم. ومثال على ذلك ثروة الطبيب جبرائيل بن بختيشوع ، الذي كان "حظياً عند الخلفاء، رفيع المنزلة عندهم، كثيري الإحسان إليه، وحصل ...من الأموال، ما لم يحصله غيره من الأطباء"[61]. فقد وهب الخليفة الأمين الطبيب جبرائيل بن بختيشوع ، أموالاً جلية أكثر مما كان أبوه الرشيد يهب له وكان الأمين لا يأكل ولا يشرب إلا بإذنه. وأمر له الخليفة المأمون (198-218ه)، بمليون درهم، وبألف كر حنطة، ورد عليه سائر ما قبض منه من الأملاك والضياع وصار إذا خاطبه كناه بأبي عيسى جبرائيل وأكرمه زيادة على ما كان أبوه يكرمه[62]. فقد وجد في خزانة بختيشوع بن جبرائيل "مدرج فيه عمل بخط كاتب جبرائيل بن بختيشوع الكبير، واصطلاحات بخط جبرائيل لما صار إليه في خدمته الرشيد يذكر أن رزقه كان من رسم العامة في كل شهر من الورق عشرة آلاف درهم، يكون في السنة مائة وعشرون ألف درهم، في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف ألف وستمائة وستون ألفاً؛ ونزله في الشهر خمسة آلاف درهم، يكون في السنة ستون ألف درهم، في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف ألف وثلاثمائة وثمانون ألف درهم، ومن رسم الخاصة في المحرم من كل سنة من الورق خمسون ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف ألف ومائة وخمسون ألف درهم، ومن الثياب خمسون ألف درهم، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف ألف ومائة وخمسون ألف درهم"[63]. كذلك أحاط أبو جعفر المنصور الطبيب جورجيس برعايته وإكرامه فمنحه ثلاثة آلاف دينار وثلاث جواري[64]. وأمر الخليفة، الرشيد أن يخلع على طبيبه بختيشوع بن جورجيس خلعة حسنة جليلة، ووهب له مالاً كثيرا، وأصبح من أقرب الأطباء للخليفة وأحد ندمائه المفضلين في بغداد[65]. وحصل الطبيب ماسوية ابو يوحنا، على أموال طائلة من خادم الفضل بن الربيع فلما شفيت عينه أنفذ إلى ماسويه جونة فيها خبز سميد، وجدي ودجاجة وحلوى، ودنانير، ودراهم، وقاله له هذا لك في كل يوم، والدراهم والدنانير رزقك مني في كل شهر. وأجرى الفضل بن الربيع على ماسويه في كل شهر ستمائة درهم وعلوفة دابتين، ونزل خمسة غلمان، وأمره أن يحمل عياله من جندي سابور، وأعطاه نفقة واسعة. كما أن الرشيد أغدق على ماسويه ايضا، فأمر بأن يجرى عليه ألفا درهم في الشهر، ومعونة في السنة عشرون ألف درهم، وعلوفة ونزل[66]. واقطع الخليفة المتوكل الطبيب إسرائيل بن زكريا الطيفوري قطيعة بسامرا، ودفع إليه ثلاثمائة ألف درهم للنفقة عليه[67].

الاختصاصات الطبيّة وطرق المعالجة

61 ابن أبي اصيبعة، عيون 143
62 المصدر نفسه ص145-146
63 ابن أبي اصيبعة، عيون ، ص193، انظر بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، 1/400-402.
64 القفطي، إخبار 123؛ ابن أبي اصيبعة، عيون، ص140؛ ابن العبري، مختصر الدول، ص124-125
65 ابن أبي اصيبعة، عيون، ص142-143
66 ابن أبي اصيبعة، عيون ، ص192
67 المصدر نفسه 176

كان العرب قبل الإسلام لا تعرف من الطب إلا الحجامة والفصد والكي والبتر، وعندما اختلطوا مع الأمم الأخرى ونقلوا عنهم معارفهم اتسعت معرفتهم بالطب، وكانت نتيجة ذلك تعدد الاختصاصات الطبية، مثل الطبيب العام والجراح الفاصد وطبيب العيون (الكحال)، وطبيب الأسنان، وطبيب النساء، والطب النفسي ومن يعالج المجانين[68]. إي تعددت الاختصاصات كما هو الحال في هذه الأيام، ومنها.

الطب الباطني: اشتهر الأطباء بطريقة الفحص الطبي المبني على التجربة والمشاهدة والاستنتاج، وذلك عن طريق فحص البول بالعين المجردة أو تذوقه، وكذلك جسهم للنبض. والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما قام به الطبيب أبو قريش عيسى الصيدلاني من فحص بول الخيزران زوجة المهدي، فحدس أنها حامل بغلام[69]. وأمر الخليفة الرشيد بأجراء امتحان للطبيب بختيشوع بن جورجيس، أمام جماعة من الأطباء، عند طريق تشخيص عينة بول دابة، فلما شاهد بختيشوع تلك العينة عرف انه ليس ببول إنسان، لأنه ليس له قوام بول الناس، ولا لونه ولا رائحته[70]. وقد كان المريض يأتي ومعه القارورة التي فيها البول ويسلمها للطبيب حيث ينظر فيها ويحدد المرض، ثم يجس نبض المريض وبذلك يحكم على حال المريض ويصف له الدواء. والاهتمام بفحص البول لأنه يدل على حال الكلية والكبد وحال الأخلاط، وأما النبض فيدل على حال القلب[71]. كذلك يعتمد الأطباء في المعاينة الباطنية بالنظر في وجهه المريض وما يبدو عليه من علامات دالة على المرض[72].

وكان للجراحة مكانها في الطب في هذا العصر، فقد مهر الأطباء بالجراحة حيث استطاعوا غرز جلد الإنسان وإعادته إلى حاله. ومثال ذلك ما يرويه الجاحظ أن كلبا عض وجهه احد الغلمان وهو خارج من الكتّاب وشق وجهه بشكل مريع ونزف الطفل دما كثيرا لدرجة انه توقع موته، ولكن الغلام رجع بعد شهر إلى الكتاب وليس في وجهه إلا موضع الخيط الذي خيط به[73].

وكان من الطبيعي أن يحتاج الأطباء إلى أدوية التخدير لتخفيف آلام الجراحة، وبذلك كان العرب رواد استخدام المخدرات في الجراحة كالحشيش والأفيون والبيروج والخشخاش والبنج وست الحسن والثلج والماء البارد[74].

واهتم الأطباء بطب الأطفال، وبدأ هذا الاهتمام بالمرأة الحامل، ودراسة صفات الجنين قبل الولادة وتركز جهد الأطباء بتشخيص أمراض الأطفال، وإيجاد العلاج المفيد للإمراض التي كانت تصيب الأطفال مثل الإسهال والربو والتبول في الفراش والديدان والشلل[75].

---

68 فراج، فضل ص 207، 243
69 القفطي، إخبار ، ص315؛ ابن العبري، مختصر الدول، ص127-128
70 المصدر نفسه ص142-143
71 فراج، فضل207؛ الخطيب، الطب 240
72 ابن أبي اصيبعة، عيون
73 الجاحظ، الحيوان 238/2
74 ابن سيناء، القانون 251/1-
75 الدباغ، أعلام ص 46

وقد برع الأطباء في هذا العصر في طب العيون وجراحتها، وشقوا الجفن وأزالوا الظفره منها[76]. كذلك وطف الأطباء الفم والأسنان وأنوعها وتسمية أجزاءها وعددها ووظيفة كل منها[77].

أما طرق الفحص الطبي، فلها قواعد تبدأ بسؤال المريض عما يشكو من اجل تشخيص مرضه ثم تحديد العلاج ووصف الدواء[78]. ويشترط فيمن يمارس مهنة الطب والصيدلة هو الشخص "العارف بتركيب البدن ومزاج الأعضاء والأمراض الحادثة فيها وأسبابها وأعراضها وعلاقتها والأدوية النافعة منها عما لم يجد منها والوجه في استخراجها وطريق مداواتها ليتساوى بين الأمراض والأدوية في كمياتها ويخالف بينها وبين كيفياتها فمن لم يكن كذلك فلا يحل له مداواة المرض"[79].

ولم يكن الطب آنذاك مقتصراً على الطب الجسدي بل تعداه إلى الطب النفسي، فهذا الطبيب جبرائيل يعالج محضية الرشيد بالطب النفسي، عندما كانت تعاني من تشنج في يدها بحيث لا تستطيع بسطها، فعرض عليه الجارية ففكر في أمرها وقر رأيه على أن شكوى الجارية لا يمكن أن يكون عضوياً بل اختلاف الخلط بسبب حركة الفعل النفسي في باطن الأعصاب، ولا يحله إلا حركة تنافر تلك الحركة، فلما حضرت الجارية اتفق مع الرشيد على معالجتها، وأن يترك له الخليفة حرية العمل، وعندما مرت أمامه باغتها بمحاولة لرفع ثوبها بحركة من يده كأنه يبغي عن كشف عورتها، وقاومته بيدها المتشنجة لتمسك أسفل الثوب، وهنا اضطرت إلى بسط يدها المتشنجة، فأعجب الخليفة بحيلة جبرائيل في إبراء جاريته، وعينه رئيساً على جميع الأطباء في بغداد خلفاً لأبيه بختيشوع[80].

كذلك عالج أبو قريش عيسى حالة مرضية بالاعتماد على الطب النفسي ومن طريف ما حدث معه في خلافة الرشيد، عندما استشاره الرشيد في حالة ابن عمه عيسى بن جعفر بن المنصور حين رأى جسده يعظم ويثخن فخاف عليه من مغبة ذلك، فعالجه أبو قريش بحيلة، فقد أنباءه بعد فحصه أنه لن يعيش أكثر من أربعين يوماً ففزع عيسى بن جعفر وأصابه الهم والوهم لهذا، وامتنع عن الأكل والشرب والنوم، وبدأ يخس بدنه ويهن، حتى عاد بعد أربعين يوماً على الحال الطبيعي، فأكرمه الرشيد بعشرة آلاف دينار[81].

وأدرك الأطباء في هذا العصر تأثير الموسيقى في الإنسان والحيوان، لذلك اهتموا باستخدامها في معالجة بعض الأمراض. فقد ألف الكندي في الإيقاع الموسيقي وقام بمحاولة علاج احد المرضى بالموسيقى، كما أن الرازي ابتدأ أمره موسيقيا وأدرك تأثير الموسيقى في علاج النفس[82].

المستشفيات

76 الخطيب، الطب35
77 المسعودي، مروج 366/3
78 الشيرازي، نهاية الرتبة، ص97
79 المصدر نفسه ص79
80 القفطي، إخبار ص107-108؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 143-144
81 القفطي، إخبار، ص316
82 الخطيب، الطب 257

وتسمى البيمارستانات، والبيمارستان[83] كلمة فارسية تعني مكان المرضى، وقد استبدلت في مصر بكلمة عربية هي مستشفى، وتعني المكان الذي تنتجع فيه الصحة، بينما أصبحت بيمارستان تستعمل للدلالة على بيت المجانين[84]. وكانت المستشفيات الإسلامية على نوعين، الأول المستشفيات الثابتة، والثاني المستشفيات المتنقلة.

لم يكن عند عرب الجاهلية مستشفيات، حيث كان العلاج يتم إما في بيوت المرضى أو في بيوت المتطببين. أما في الإسلام، فقد بدأ الاهتمام بهذه المنشآت التي كانت الدولة ترعاها، والذي يبدو أن بدايتها كانت على شكل مستشفيات خاصة، ثم ظهرت المستشفيات العامة وبخاصة في العصر العباسي[85].

يعود بوادر الاهتمام بالمستشفيات في الإسلام إلى عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان. ذكر ابن العماد الحنبلي أن المستشفى الذي بني تحت المئذنة الغربية في الجامع الأموي الكبير في مدينة دمشق وينسب بناءه إلى معاوية بن أبي سفيان أو إلى ابنه يزيد[86]. ويبدو أن مستشفى معاوية هذا كان بداية ونواة المستشفيات في العصر الأموي. ويروى أن الوليد بن عبد الملك (86-96هـ) كان أول من انشأ المستشفيات للمرضى وأول من أجرى على العميان والمساكين الأرزاق[87]. فقد قام الوليد ببناء مستشفى بدمشق عام 88هـ وجعل فيها الأطباء، وأمر بحبس المجذومين فيها وأجرى عليهم الأرزاق[88]. واتخذ الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ) ملجأ للفقراء وزود بالتمر والطحين والزيت[89].

وكان للخلفاء العباسيين أيضاً اهتمام في بناء المستشفيات، فقد بنى الخليفة أبو جعفر المنصور دوراً للعجزة والأيتام ومعالجة المجذوبين، وخصص الخليفة المهدي الأموال للمجذوبين[90]، وأنشأ الخليفة هارون الرشيد، مستشفى في بغداد وسماه باسمه وعهد بإدارته إلى الطبيب ماسويه ثم تولى رئاسته من بعده ابنه يوحنا الذي أصبح فيما بعد طبيباً للمأمون[91]، وهو أول مستشفى عام بنيت على غراره المستشفيات العامة الأخرى. كان نظام العمل في المستشفيات يقوم على أسس منظمة وترتيب جيد يساعد على سير كافة الأمور بصورة منظمة. فمن أول هذه الأنظمة أن المستشفيات مقسومة إلى قسمين منفصلين، أحدهما للرجال والآخر للنساء، وكان كل قسم مزودا بكل ما يحتاج إليه من آلات وأدوات وفراشين وخدم ومشرفين من الرجال والنساء، ويشمل على قاعات لمختلف الأمراض، وكانت بمثابة أقسام متخصصة، أي قسم للأمراض الباطنية، وقسم للمجبرين، وقسم للكحالين وقسم للولادة. والقاعات عموما جيدة البناء، واسعة، مليئة بالأسرة التي يرقد عليها المرضى، ولكل مستشفى رئيس يسمى ساعور، ولكل قسم رئيس. وفي المستشفى صيدلية لها مسؤول يسمى شيخ صيدلي البيمارستان. كما كان

---

83 البيمارستان لفض فارسي يتكون من مقطعين هما: البيمار وتعني المرضى وستان وتعني الموضع، فيكون معناها موضع المرضى او بيت المرضى، وهو المكان المخصص لإقامة المرضى من اجل تلقى العلاج (ابن أبي اصيبعة، عيون 29/1)

84 عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر، بيروت د. ت، ص219

85 السامرائي، دراسات ص310

86 ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ط2، دار المسيرة، بيروت 1979، 4/3

87 اليعقوبي، تاريخ، دار صادر بيروت 1960، 290/2

88 الطبري، تاريخ، دار المعارف، القاهرة 224/5

89 القلقشندى، صبح الأعشى 531/1

90 السامرائي، دراسات ص311؛ زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، د. ت، 287/2

91 ابن أبي اصيبعة، عيون، ص195؛ القفطي، إخبار، ص246، 249؛ عيسى بك، تاريخ البيمارستانات ، ص178.

الأطباء يتناوبون العمل، ولكل واحد منهم وقت معين لزيارة مرضاه، ووجد في المستشفيات الكبيرة مدرسة يتلقى طلاب الطب علومهم فيها[92].

وقد تعددت أماكن ممارسة الطب إضافة إلى المستشفيات، فمنها ما كان في بيوت الأطباء أنفسهم أو بيوت المرضى أو في الأسواق[93]، وعلى قارعة الطريق كالطبيب ماسوية الذي برع في طب العيون ومارس الطب بباب الحرم عند قصر الفضل بن الربيع وزير الرشيد، فلم يزل هناك حتى حسنت حاله[94]، وكذلك الطبيب عيسى المعروف بابي قريش كان صيدلانياً يجلس على موضع نحو باب قصر الخليفة[95].

ومنها ما كان في قصور الخلفاء أنفسهم، ومما يؤكد هذا القول ما رواه ابن أبي اصيبعة عن الرشيد الذي أصيب بالمرض حتى غشي عليه وشارف على الموت من جراء تناوله أنواعاً مختلفة من الطعام، فاستدعى الطبيب جبرائيل بن بختيشوع، فأقترح أن يحتجم الرشيد، أي جرحه من موقع في جسمه ومص الدم من الجرح، حتى أفاق الرشيد من غيبوبته، وبرأ من مرضه[96] ، في حين كان الطبيب ابن بختيشوع يعالج المرضى في بيته [97].

الخلفية الدينية والعرقية للأطباء

لقد ساد شعور لدى المسلمين في العصر العباسي الأول بان الطب علم أجنبي حتى بعد استقراره في العراق، إذ تجمع فيها خليط من الأطباء من مختلف الجنسيات والأديان، وكان النساطرة أبرزهم جميعا، وأوسعهم شهرة، وأقدرهم في الممارسة الطبية، أما الأطباء العرب فكانوا أقلة[98]. وقد عبر عن هذا الشعور الطبيب العربي أبو الحارث أسد بن جاني عندما سأله احد مراجعيه قائلا : "السنة وبيئة والإمراض فاشية وأنت عالم، ولك صبر وخدمة...فمن أين تؤتى في هذا الكساد؟ قال: أما واحدة، فاني عندهم مسلم، وقد اعتقد القوم....أن المسلمين لا يفلحون في الطب، واسمي أسد وكان ينبغي أن يكون صليباً وجبرائيل، ويوحنا، وبيرا، وكنيتي أبو الحارث، وكان ينبغي أن تكون: أبو عيسى، وأبو زكريا، وأبو إبراهيم. وعليّ رداء قطن أبيض وكان ينبغي أن يكون رداء حرير أسود. ولفظي لفظ عربي وكان ينبغي أن تكون لغتي لغة أهل جند يسابور"[99].

كان أكثر فئات الأطباء التي وفدت إلى العاصمة العباسية من النساطرة والسريان. ولعبت الأسر النسطورية دورا بارزا في الطب في العصر العباسي الأول، مثل أسرة: بختيشوع، وماسويه، وسلمويه، والطيفوري[100].

---

92 السامرائي، دراسات ص312-313
93 الطبري، تاريخ الرسل، 352/8
94 ابن أبي اصيبعة، عيون، ص193
95 القفطي، إخبار ، ص315؛ ابن أبي اصيبعة، عيون، ص215
96 ابن أبي اصيبعة، عيون، ص 148 نت؛ ابن الداية، أحمد بن يوسف الكاتب، كتاب المكافأة وحسن العقبى، تحقيق محمد محمود شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت، ص141- 144
97 ابن أبي اصيبعة، عيون، ص188.
98 السامرائي، مختصر 418
99 الجاحظ، البخلاء ص102
100 حتي، موجز ص192

وتعد عائلة بختيشوع ابرز هذه الأسر جميعا، فقد كان جد هذه الأسرة الأول سريانيا متدينا،[101]، ومعنى الاسم يدل على أن العائلة نصرانية ، فبخت تعني بالسريانية العبد ويشوع تعني المسيح، وهي بذلك تعني عبد المسيح[102].

تعاقب على خدمة الخلفاء العباسين عدد من أفراد هذه الأسرة منذ عهد الخليفة المنصور الذي استقدم الطبيب جورجيس بن جبرائيل وجعله من أطباءه[103]. ثم خلفه ابنه بختيشوع[104] في خدمة الخلفاء العباسيين. لتحتل أسرة بختيشوع مكانة رفيعة لدى العباسيين منذ ذلك التاريخ، وطيلة العصر العباسي الأول. فأصبح الطبيب جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس طبيب الرشيد الخاص، واستمر في خدمته وخدمة أبنائه من بعده[105].

ومن الأسر المسيحية التي اشتغلت بالطب، أسرة آل حنين، وهي أسرة ترجع إلى قبيلة عباد من القبائل العربية في جنوب العراق، وأول أطبائها حنين بن إسحاق (ت260هـ)[106]، ثم ابنه إسحاق.

إما أسرة ماسويه، فالأرجح أن ماسويه ولد في فارس، أما أبوه فكان نسطوريا جاء بغداد من إحدى مدن الشام وتزوج من جارية صقلية ولدت له يوحنا وميخائيل[107]، وكان يوحنا بن ماسويه[108] نصرانيا سريانيا، فاضلا متقدما عند الخلفاء عالما مصنفا جليل المقدار. عُيّن أمينا على الترجمة في بيت الحكمة. خدم الأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل[109]. ثم ارتقى يوحنا في المناصب حتى صار شماسا في خدمة الكنيسة[110].

وأما أسرة الطيفوري فترجع بأصلها البعيد إلى طيفور أباد بفارس، وأول أطباء هذه الأسرة في العصر العباسي الأول عبد الله الطيفوري[111]، وهو من كسكر من ديار واسط جنوب العراق، ثم جاء بعده ابنه زكريا[112] وحفيده إسرائيل[113].

ومن أطباء العصر العباسي الأول من أصول هندية، الطبيب كنكه الهندي، وشاناق، ومنكه، وصالح بن بهلة الهندي. كان كنكه عالماً بصناعة الطب والترجمة، حكيم بارع من متقدمي حكماء الهند وأكابرهم، وله نظر في صناعة الطب وقوى الأدوية وطبائع المولدات وخواص الموجودات، وكان من أعلم الناس بهيئة العالم وتركيب الأفلاك وحركات النجوم. وصف بأنه "المقدم في علم النجوم عند جميع العلماء من الهند في سالف الدهر، وله من الكتب كتاب النموذار في الأعمار، كتاب أسرار المواليد، كتاب

---

101 السامرائي، مختصر ص392؛ مرحبا، المرجع ص217
102 حتي، موجز ص192
103 ابن أبي اصيبعة، عيون، 139 نت
104 انظر القفطي، إخبار 81-82؛ ابن أبي اصيبعة، عيون، ص140-142
105 القفطي، إخبار 106-115؛ ابن أبي اصيبعة، عيون، ص143-161
106 انظر ابن جلجل 68-73؛ القفطي، إخبار131؛ ابن خلكان، وفيات، 2/217-218؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 205-222
107 ابن أبي اصيبعة، عيون ، ص192-196
108 عن حياته انظر ابن جلجل، طبقات 65-66؛ القفطي، إخبار 282-290؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 195- (نت)
109 القفطي، إخبار 282-283، قارن مع ابن جلجل 65
110 ابن النديم، الفهرست 589
111 ابن أبي اصيبعة، عيون 170 نت
112 جلجل 70؛ القفطي 146 اصيبعة175
113 ابن أبي اصيبعة، عيون 176

القرانات الكبير، كتاب القرانات الصغير، كتاب الطب ...، كتاب في التوهم، كتاب في أحداث العالم والدور في القران"[114].

أما الطبيب شاناق، فكانت له معالجات وتجارب كثيرة في صناعة الطب وتفنن في العلوم وفي الحكمة، وكان بارعاً في علم النجوم حسن الكلام متقدماً عند ملوك الهند، ولشاناق من الكتب: كتاب السموم، خمس مقالات، نقله من اللغة الهندية إلى الفارسية منكه الهندي، ثم نقل للمأمون على يد العباس بن سعيد الجوهري مولاه، ومن كتبه أيضا، كتاب البيطرة، كتاب في علم النجوم، وكتاب المنتحل الجوهر[115].

ومنهم الطبيب منكة[116]. كان منكة عالماً بصناعة الطب حسن المعالجة، لطيف التدبير فيلسوفاً، من جملة المشار إليهم في علوم الهند متقناً للغتين الهندية والفارسية، وهو الذي نقل كتاب شاناق الهندي في السموم من اللغة الهندية إلى الفارسية، عاصر الرشيد، وجاء من الهند إلى العراق في أيامه، واجتمع به وعالجه، بعد أن فشل الأطباء بعلاجه،فأجرى عليه رزقاً واسعاً وأموالاً كافية[117].

ومنهم كذلك الطبيب صالح بن بهلة الهندي. فقد كان متميزاً من علماء الهند، وكان خبيرًا بالمعالجات التي لهم، وله قوة وإنذارات في تقدمة المعرفة، وكان بالعراق في أيام هارون الرشيد ، خدم الرشيد مع الطبيب جبرائيل بن بختيشوع الذي كان يشرف على موائد الرشيد. اعتمد الرشيد على صالح في معالجة إبراهيم بن صالح بناءً على نصيحة جعفر بن يحيى حيث قال للرشيد: أن طب جبرائيل طب رومي وصالح بن بهلة الهندي في العلم بطريقة أهل الهند في الطب مثل جبرائيل في العلم بمقالات الروم، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضاره وتوجيهه إلى إبراهيم بن صالح لنفهم عنه ما يقول مثل ما فهمنا عن جبرائيل. فقام صالح بمعالجة إبراهيم حتى شفي من مرضه[118].

الخاتمة

[114] ابن أبي اصيبعة، عيون 424 نت
[115] ابن أبي اصيبعة، عيون، 425 نت
[116] الطبري، تاريخ الرسل، 352/8؛ ابن أبي اصيبعة، عيون، 424 نت
[117] ابن أبي اصيبعة، عيون، 425-426
[118] القفطي، إخبار 166-168

وخلاصة القول، كان للعرب المسلمين دور كبير ومشرف في تطوير علم الطب وصناعته في العصور الإسلامية، فقد عرف المسلمون الطب عن طريق النقل والترجمة أول الأمر، أخذوه من كتب اليونان مباشرة. ومن أشهر ناقلي كتب الطب: يوحنا بن ماسويه وحنين بن إسحاق وقسطا بن لوقا وثابت بن قرة. فقد كان لهم دور كبير في حفظ التراث الطبي العالمي للشعوب والأمم الأخرى من الضياع وتقديمه للعالم المتحضر للإفادة منه في المجال الطبي. ثم رافق ذلك اهتمام خلفاء هذا العصر بالطب بصورة شخصية. فقد استقدم المنصور، جورجيس بن بختيشوع النسطوري لعلاج ضعف معدته، وقد عرّب هذا الطبيب كتبا كثيرة في الطب عن الفارسية وخدم الطبيب بختيشوع بن جورجيس الخلفاء المهدي والهادي والرشيد، وتلاه ابنه جبرائيل الذي جعله الرشيد رئيسا للأطباء، وظل في خدمة الخلفاء الأمين والمأمون حتى وفاته. ومن العوامل التي ساعدت على تطور علم الطب خلال هذا العصر، هو تشجيع الخلفاء العباسيين واهتمامهم بالشؤون العلمية عامة، والصحية خاصة، فكان الخلفاء يجذبون إليهم الأطباء، ويسترضونهم بالمناصب العالية والحوافز الكبيرة، وقد بالغ خلفاء هذا العصر في إكرام أطبائهم فقد كان الخليفة الرشيد يكثر الدعاء وهو بمكة لطبيبه النصراني جبرائيل بن بختيشوع، كما أن الخليفة المعتصم اشتد حزنه على موت طبيبه النصراني سلمويه بن بنان، فبكاه وكف عن الطعام يوم مماته[119].

وكان لأطباء الدولة الإسلامية الدور الريادي في علم الطب، وذلك عن طريق الانجازات الكبيرة والمعارف الرائعة التي ابتكرها الأطباء، فكان لهم السبق في ميادين مهمة جعلت العالم بأسره يشيد بالانجازات الإسلامية ويعدها الأساس في نهضة الشعوب في العصر الحديث. فهم الذين ترجموا كتب الطب والصيدلة ودرسوها وحللوها وأضافوا عليها وهم الذين بنوا المستشفيات وزودوها بالكوادر الطبية المؤهلة وحافظوا على ديمومتها.

المصادر والمراجع

1. ابن أبي أُصيبعة، احمد بن القاسم (ت668هـ)، كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق عامر النجار، ط1، دار المعارف القاهرة+ (ط على النت)
2. ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت د. ت.

[119] السامرائي، دراسات 309؛ فراج، فضل 213

3. ابن جلجل، سليمان، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، طبعة المعهد الفرنسي للآثار، القاهرة 1955
4. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1978
5. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الطب النبوي، ط2، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م وطبعة تحقيق شعيب أرناؤوط وعبد القادر ارناووط، ط1 1980 وطبعة القاهرة، 1957
6. الأندلسي، صاعد بن احمد، طبقات الأمم، مطبعة السعادة، القاهرة، ص128؛
7. براون، ادوارد جي، الطب العربي، ترجمة داود سليمان علي، مطبعة العاني، بغداد 1964
8. التخاينة، راجح، الحركة العلمية والثقافية في بغداد في العصر العباسي (149-198هـ/766-813م)، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة مؤتة 2003
9. الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق فوزي عطوي، 7ج، مكتبة النوري، دمشق 1968
10. الجاحظ، عمرو بن بحر، البخلاء، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة 1963
11. حتي، فيليب، موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة أنيس فريحه، دار الثقافة بيروت 1965
12. الخطيب، عبد الرحمن ، الطب في الجاهلية وزمن النبوة http://www.alhayat.com/article/351591
13. الدباغ، علي عبد الله، أعلام العرب والمسلمين في الطب، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983
14. السامرائي، خليل ، دراسات في تاريخ الفكر العربي، جامعة الموصل، الموصل د. ت.
15. السامرائي، كمال، " مكافآت الخلفاء العباسين لأطبائهم في بغداد " بغداد مدينة السلام، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد 1991م
16. السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي،2ج، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد 1984
17. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة 1960-1969
18. عبد الرحمن، حكمت نجيب، دراسات تاريخ العلوم عند العرب، وزارة التعليم العالي، الموصل 1977م
19. عفيفي، محمد الصادق، تطور الفكر العلمي عند المسلمين، ط1، القاهرة 1977م
20. العمري، عبد الله منسي السعدي، تاريخ العلم عند العرب، دار مجدلاوي للنشر، عمان 1990
21. عيسى، احمد، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت 1981

22. فراج، عز الدين، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر، بيروت، د. ت
23. القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت ، ص66
24. الكساسبة، حسين فلاح، "الطب والأطباء في صدر الإسلام"
***Route Educational & Social Science Journal,* Volume 6(1); January 2019, pp. 673-694**
25. مرحبا، محمد عبد الرحمن، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م
26. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 4ج، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت 1987
27. نعمة الله، هيكل، موسوعة علماء الطب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1991م
28. الهويمل، الحركة العلمية في خلافة المأمون، رسالة غير منشورة، جامعة مؤتة 1996
29. اليعقوبي، تاريخ، دار صادر بيروت 1960